بعد خمسة شهور

من زيارة السادات للقدس

تل ابيب - عقدت في الاسبوع الماضي بدعوة من لجنة السلام العادل بين اسرائيل والبلاد العربية مناظرة اشترك فيها عدد من المثقفين من الاراضي المحتلة واسرائيل.

وفيما يلي جانبا من كلمة الاستاذ تيسير العاروري في تلك المناظرة.

ان الفترة الزمنية التي مرت على زيارة السادات لاسرائيل، وتطورات الاحداث خلالها كافية من وجهة نظري لحسم النقاش حول هذه المبادرة وابعادها السياسية بالنسبة لاولئك الذين خدعتهم دراماتكية الحدث، وبنوا الامال على رمال هذه الزيارة بانها ستحقق سلاما عادلا لشعوب المنطقة، يكفل لها جميعها الحقوق والطمانينة وتوفير معاناة الحروب وويلاتها.

ان مقياس امكانية النجاح او الفشل لاية خطة سياسية شرق اوسطية، بما في ذلك مبادرة السادات، من وجهة نظري، هي مدى استجابتها لحل كافة اوجه الصراع والتناقض في المنطقة، بما يتفق ومصلحة كافة شعوب المنطقة وتطورها الاجتماعي، وبشكل خاص القضية الفلسطينية، بصفتها لب الصراع في الشرق الاوسط هذا من جهة، ومن جهة ثانية مدى توافقها وانسجامها وقرارات المجتمع الدولي والامم المتحدة.

وعليه، فانني اعتقد بان اي حل او خطة سياسية لا تتضمن العناصر الرئيسية التالية هو حل مقدر له الفشل سلفا، او انه وقتي ومؤقت في احسن الاحوال. وهذه العناصر هي:

١) انسحاب القوات الاسرائيلية الكامل من كافة الاراضي العربية التي احتلتها ابان حرب الايام الستة، والعودة الى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧.

٢) حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره، بما في ذلك حقه في اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٣) حل قضية اللاجئين الفلسطينيين على اساس حقهم في العودة او التعويض وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة.

٤) حق كافة دول المنطقة بما في ذلك الدولة الفلسطينية واسرائيل بالعيش بسلام ضمن حدود دولية معترف بها، وتوفير ذلك عن طريق ضمانات دولية او اية اجراءات اخرى مناسبة تتفق عليها الاطراف المعنية.

ان مبادرة السادات يجب النظر اليها من زاوية مدى انسجامها وامكانية تحقيقها للعناصر الرئيسية الاربعة لاية تسوية شاملة ودائمة في الشرق الاوسط المذكورة اعلاه، ومن زاوية ارتباط هذه المبادرة بمجمل النهج الساداتي وتطوره وتوجهاته منذ تولي السادات للسلطة في مصر. هذا النهج الذي اتسم بمهادنة الرجعية العربية والامبريالية ومن ثم انتهى للتحالف معها والارتماء في احضانها. واتسم بالتحلل من كافة ارتباطات مصر السابقة مع حركات التحرر الوطنية والقوى الثورية العالمية والدول الاشتراكية، وانتقل الى نقيض ذلك، الى موقف العداء السافر لكل

بالتراجع والعداء لكل ما هو ايجابي من منجزات ثورة يوليو المصرية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وبالاجمال، انه نهج رجعي استسلامي. ومن هذه الزاوية، فان مبادرته كانت مجرد خطوة اخرى على هذا الطريق.

ولم يكن من قبيل الصدف او النسيان مطلقا تجاهل السادات في خطابه امام الكنيست الاسرائيلية ذكر منظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من انها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وحملته عليها في خطاباته اللاحقة، كل ذلك ليوضح للقادة الاسرائيليين بان لديه الاستعداد للتحلل من مقررات مؤتمر قمة الرباط بشان التمثيل الفلسطيني وبانه على اتم الاستعداد لتقديم التنازل تلو التنازل امام جشع القادة الاسرائيليين.

ان السادات يطرح نفسه، وبشكل صريح نسبيا، منافسا للقيادة الصهيونية على خدمة المصالح الاميركية وتنفيذ سياستها في المنطقة وفي افريقيا. وهو قد قال صراحة في اكثر من خطاب بانه سيثبت للولايات المتحدة بانه اقدر واجدر على صيانة المصالح الاميركية في المنطقة من اسرائيل. وهذا على ما يبدو، يسبب قلقا وتخوفات لدى القيادة الصهيونية في اسرائيل وفي الولايات المتحدة، ويجعلها تقف موقفا فيه الكثير من التعنت والتصلب والصلف تجاه السادات ومبادرته. بالاضافة الى ان القيادة الاسرائيلية تدرك تمام الادراك موقف السادات الضعيف على الصعيدين الداخلي والخارجي، فهو يقف امامها عاريا تماما تحت المظلة الامريكية، بعد ان فك ارتباطه من حركة التحرر العربية والعالمية، ومن حلفاء واصدقاء الشعب المصري المخلصين. ويعاني داخليا من ازمة اقتصادية خانقة، لم تفعل الدولارات النفطية وسياسة الانفتاح الاقتصادي الا ان زادتها حدة على حدة.

وقد جاءت العملية الاسرائيلية في جنوب لبنان واحتلالها لاراض واسعة منه، بعد ان حصلت على الضوء الاخضر من الادارة الامريكية، لالهاء شعوب المنطقة والعالم وتوجيه الانظار الى قضية اخرى. (وهذا هدف من جملة اهداف استهدفتها العملية) وذلك لانقاذ السادات من الورطة التي وقع بها، وكذلك لانقاذ بيغن وحكومته من الازمة والضغوط الداخلية، حيث ان اقساما واسعة من الاسرائيليين لا تفهم سر تصلب بيغن وجفائه تجاه السادات، رغم محاولات الاخير التي لا تعرف الياس للجلوس في احضانه.

ثم استعرض اوضاع المناطق المحتلة وطالب بالتضامن مع السجناء السياسيين في سجون الاحتلال وتطرق الى الهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان والمضاعفات الناجمة عنه.

العلاقات الاميركية الاسرائيلية

و «الخلاف» القائم حول التفاصيل

من المحرر السياسي:

تناولت الصحافة الاسرائيلية بكثير من التعليقات مستقبل العلاقات الامريكية الاسرائيلية في ضوء ما يعلن عن خلاف في وجهات النظر بين بيغن وكارتر. وقد دارت تكهنات عديدة شاركت فيها الصحافة اليمينية العربية حول تعديلات محتملة في الموقف الاسرائيلي، عشية سفر بيغن الى الولايات المتحدة.

ولكن ديان وضع حدا لهذه التكهنات، على الاقل بالنسبة للصحافة التي لا تعيش في احلام اليقظة الساداتية. واعلن، في مقابلة تلفزيونية، في الاسبوع الماضي، ان الموقف الاسرائيلي لن يطرأ عليه تغيير اساسي، وهو ينتظر تعديلات في الموقفين المصري والاميركي.

ومع ذلك فان التباين في الموقفين الاميركي والاسرائيلي يخلق احيانا، وعن عمد في بعض الحالات، تصورات جامحة حول حدود ومجالات ذلك التباين، ومبالغات في تقدير المدى الذي ستذهب اليه الولايات المتحدة في "خلافها" مع اسرائيل.

وما من شك في ان جميع حكام اسرائيل، بما في ذلك بيغن، ادركوا، منذ سنوات طويلة، انهم يمسكون "بالورقة الرابحة" في اللعبة الاميركية في الشرق الاوسط.

وان الولايات المتحدة، رغم علاقاتها "الحميمة" مع عدد من الدول العربية لا تستطيع الاعتماد على هذه العلاقات في تنفيذ ستراتيجيتها في منطقة الشرق الاوسط، ولا تشعر بالطمانينة تجاه استمرارية تلك الانظمة وبالتالي تلك العلاقات مع الدول العربية المرتبطة بها.

ولهذا كان لاسرائيل ذلك المركز المتميز في ستراتيجية الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط.

وقد صرح اكثر من مسؤول اسرائيلي بما فيهم، رئيس الوزراء الحالي، ان اسرائيل قدمت خدمات "للعالم الحر" وانها وقفت ازاء ما وصفه بيغن بالمد السوفياتي الخ... وان تلك الخدمات تزيد كثيرا عن قيمة خدمات الولايات المتحدة لاسرائيل.

وفي ظروف النهوض العام لحركة التحرر الوطني العربية في الخمسينات واواسط الستينات، كانت تلك "الخدمات" ملحوظة ومطلوبة، ولم تكن هناك مدعاة "للتباين" في الرأي لان الستراتيجية الاميركية انذاك لم يكن لديها، في الاساس، وسائل اخرى غير الوسيلة العسكرية في مواجهة نظام كانت تتوطد مواقفه

مثل نظام عبد الناصر ولم تكن هذه "الوسيلة" متوفرة بالفعالية المطلوبة لدى اي من دول الشرق الاوسط "الصديقة" للولايات المتحدة، غير اسرائيل.

وينبغي الاعتراف ان حرب حزيران، واستمرار الاحتلال الاسرائيلي لسيناء، والاعباء العسكرية التي ترتبت على ذلك، قد عرقل كل ذلك المسيرة التقدمية في مصر، وهيأ لقوى اليمين المصري في النظام وخارجه استغلال المصاعب والنفاذ من الثغرات والنواقص لاقامة تحالف جديد يحقق الارتداد عن التجربة الناصرية، ويبني الجسور مع الولايات المتحدة

والى جانب هذا النظام المرتد، برزت السعودية كقوة اقتصادية مؤثرة في الاقتصاد الراسمالي العالمي، وفي الاقتصاد الامريكي بنوع خاص، من خلال استثماراتها المالية، ودعمها للدولار، وتفريجها عن ازمة الطاقة في الولايات المتحدة.

وبرزت ايران ايضا كقوة اقتصادية في منطقة الشرق الاوسط. وتسابقت مع حكام مصر والسعودية، للبرهنة على قدرتها في تقديم "الخدمات" للامبريالية الاميركية ضد حركة التحرر الوطني العربية والافريقية.

واذا كان توازن القوى على الصعيد الدولي قد قلص من قدرة الولايات المتحدة على القيام بمغامرات مكشوفة، فان حاجة الولايات المتحدة لايجاد وكلاء عنها للاضطلاع بهذه المهمة قد زادت. كما زادت ايضا الحاجة لان يكون هؤلاء الوكلاء من نفس القومية، ان امكن، حتى لا تبدو اعمال اولئك "الوكلاء" التخريبية وكانها تدخل خارجي.

ومن هنا كانت محاولات "فتنمة" الحرب في فيتنام، و "تعريب" الصراع في لبنان والشرق الاوسط و "افرقة" المؤامرات في عدد من الدول الافريقية.

ولا شك ان مثل هذا التغيير في الوسائل والاساليب قد وضع بصورة ما، اسرائيل امام معضلة، فهي من جهة ترحب بالردة الموضوعية، وهي في الوقت ذاته تريد المحافظة على وضعها المتميز في المنطقة بالنسبة لاستراتيجية الولايات المتحدة دون مزاحمة.

وهي تدرك ايضا، وهذا لا ينفي اهدافها الاخرى، ان الانسحاب من سيناء يعني تعزيز مركز الرئيس السادات، وتمكينه من ان يلعب دورا اكثر تاثيرا ضمن المخططات الاميركية، وهذا يؤدي بالضرورة الى اضعاف المركز المتميز لاسرائيل في تلك المخططات، وان كان لا يلغي او يقلل من اهمية الرابطة الاستراتيجية بين اسرائيل والولايات المتحدة.

ولعل هذه المخاوف هي من الاسباب التي دفعت الجنرال غور، رئيس الاركان الاسرائيلي السابق، الى الدعوة للتخلي عن صفقة الطائرات الامريكية الاخيرة لاسرائيل مقابل الغاء الصفقة المرتبطة بها لكل من مصر والسعودية.

هذا مع ان الجنرال غور يعلم تماما ان الطائرات الاميركية لمصر والسعودية لن تستخدم ضد اسرائيل. وان ضمانات اكيدة قد قدمت لاسرائيل بهذا الخصوص.

وهناك بالاضافة الى المخاوف الاسرائيلية على "المركز المتميز" تقديرات بأن الحكومة الامريكية تسعى لتوحيد الاسلحة في كل من

يكمل سلسلة الاحلاف العسكـ حول الاتحاد السوفياتي.

كما ان حديث السادات حاجته لضمانات مثل تلك الـ تطلبها اسرائيل من الولايـ المتحدة، والانباء الصحفية عن و مقترحات اميركية لاقامة قوا عسكرية للولايات المتحدة أسرائيل كل ذلك يوحي السادات يرغب في ان تكـ الولايات المتحدة مثل هذه القوا في مصر وبالذات في الاسكندرية. ويشير، من ناحيـ اخرى، الى تهالك القيادة المصر على الدخول في تحالف عسكري مع الولايات المتحدة.

وقد لمح المعلق الاميركي المعروف، جيمس رستون، الى مشروع الحلف، بصورة غير مباشـ في مقال له في ٢٤ اذار من العام في صحيفة النيويورك تايمز وقد اشار في هذا المقال الى وصفه "بالمصالح المشتركة لاسرائيل والدول العربية" و "وحدة هذه الدول ضد التغلغل السوفياتي"!

وفي ذات اليوم كتب جدعون رفائيل، الديبلوماسي الاسرائيلي المخضرم، والذي شغل منصب مد عام وزارة الخارجية، مقالا في صحيفة "جيروزالم بوست" دعا الى ان واجب الدول العربية واسرائيل ان تحمي نفسها من السيطرة الخارجية كما اعطى اسرائيل دورا متميزا في التحالف المقترح. واعطى مثلا مساعـ اسرائيل للبنان والاردن لحمايـ "امنهما".

ان حاجة الولايات المتحدة لاقامة هذا الحلف تكمن وراء اهتمامها بالتوفيق بين اطراف الحلف المقترح، ومن هنا ايضا كان تردد اسرائيل في تسهيل اقامة هذا الحلف خوفا على مركزها المتميز وحرصا عليه.

وهذا لا يعني ان اسرائيل تعارض في اقامة تحالف متعدد المجالات مع مصر وغيرها. ولكن السياسة الاسرائيلية تسعى لان يقوم هذا الحلف ونظام السادات في اضعف حالاته كي يصبح معتمدا على الحماية الاسرائيلية في استمرار وجوده. ولهذا فان اسرائيل وليس لهذا السبب وحده لا تقبل بأن تستجيب لجميع المطالب المصرية المتعلقة بنزاع الشرق الاوسط.

وفي هذه القضية ليس هناك تباين كبير بين موقف اسرائيل وموقف الولايات المتحدة. فالاخيرة تقر بأن الانسحاب لا يشمل جميع المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ وتوافق مع اسرائيل على معارضة قيام دولة فلسطينية، وعلى استبعاد منظمة التحرير من اية مفاوضات. ولكنها تختلف مع اسرائيل في تحديد مسافة الانسحاب.

وهذا الاختلاف ليس جوهريا كما يحب البعض ان يصوره فاسرائيل واميركا متفقتان على عدم الانسحاب من كافة الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وعلى عدم اقامة دولة فلسطينية اي انهما تعارضان المطلبين الاساسيين للدول العربية من اجل التوصل الى تسوية عادلة في الشرق الاوسط.

ولذلك فان المبالغة في الحديث عن "خلاف" اميركي اسرائيلي، هو نوع من خداع النفس قبل خداع الاخرين.

ان اسرائيل منسجمة تماما مع الخطوط العامة للاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط والتباين المعلن في نظرة البلدين للوسائل والاشكال اللازمة لتحقيق تلك الاستراتيجية